

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

(١)

﴿ الْحَيَّ ﴾

(٢٠٧)

﴿ الْمَاءِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الْحَقِّ الْحَيِّ
وَمَالِيَّ غَيْرِ اللَّهِ وَوَلِيِّ
سَوِيٍّ "المختار" حبيب الله
وخير الخلق وخير نبيٍّ
حبيبي ربُّ .. أكرمَ عبداً
وزادَ فضلٍ منه إليَّ
أنارَ القلبَ بحُبِّ فيه
فصار الكونُ همومَ غبيٍّ

وَمَالِيَ وَالْأَكْوَانَ سَرَابٌ
ظِلٌّ يُسْمَعُ أَمْرَ قَوِيٍّ
تَعَالَى اللَّهُ الْحَيُّ الْبَاقِي
وَجَلَّ الْقَدْسُ الْأَكْبَرُ فِي
هُوَ الرَّحْمَنُ .. وَقُدْسُ اللَّهِ
أَرَاهُ كَنُورِ الشَّمْسِ .. جَلِيٍّ
وَمَنْ يَرْضَى بغيرِ اللَّهِ
أُنْسًا .. لَا يَكُونُ سِوَى
وَمَنْ يَفْنَى بِنُورِ اللَّهِ
لَا رَسْمٌ لَهُ أَوْ زِيٍّ
فَحَيْثُ يَرِيدُ مِنْهُ الْحَقُّ
سَارَ بِقَلْبِ رُوحِ رَضِيٍّ

فَيَفِي الْعَبْدُ بِنُورِ اللَّهِ
وَيَبْقَى الْحَيُّ بِقَلْبِ الْحَيِّ

وَكُنْتُ جَهُولًا عَنْهُ أَنْقَبُ
فِي الْأَكْوَانِ بِقَلْبِ غَيْبِي
حَتَّى طَلَعَ النُّورُ فِضَاعَتُ
كُلِّ الصُّورِ .. سِوَاهِ الْحَيِّ
وَضَاعَتْ " هِنْدُ " وَالْأَكْوَانُ
وَضَاعَ الْجَاهُ .. وَضَاعَتْ " مَيِّ " ،
لَيْسَ سِوَاهِ الْحَيِّ الْبَاقِي
لَيْسَ سِوَاهِ الْحَقِّ الْحَيِّ

وجدتُ اللهَ بقلبِ العبدِ
ونورَ اللهِ بسرِّ فيّ
ومِنىّ فيه إليه حديثٌ
كلُّ كلامي قولٌ نَجِيّ
فَصِحَّتْ: الكونُ.. ومافي الكونِ
وحقُّ اللهِ جميعاً فيّ
أنا الأركانُ .. أنا الأفلاكُ
أنا الأكوانُ .. أنا لاشيَّ !!
هو الرحمنُ .. هو الخلاقُ
وما أبداً سواه قوِيّ
وعبدُ اللهِ .. كَظِلُّ اللهِ
هو السَّجَّادُ بقلبِ الحيّ

ولا يَفئى الذى باللهِ
عاش وقلبُه الكرسىَّ

سألتُ الناسَ عن العُشَّاقِ
فقالوا : هُمُ فى ذاك الحىَّ

طَرَقْتُ البابَ فقالوا: مَنْ؟
فقلتُ : الميتُ يَرجو الحىَّ

فقالوا : غَلَطْتَ .. فلا تَشَعَلْنَا
ليس لدينا غير الحىَّ

فلمستَ الميِّتَ يا مَعْرُورُ
فإنَّ الميِّتَ لا مَرُئىَّ

لو أنك ميت لكنت أجبت:
الحيُّ وإني عبدُ الحيِّ
فقلتُ: وكيف؟؟ فقالوا: الميتُ
من يعلوه لسانُ الحيِّ
لو قد ميت فسوف تعيش
فكيف تموت ولست الحيِّ؟؟
ميتٌ .. وتعال حتى تحيا
وأت إلى الأنوار وحيِّ
فقلتُ: غلطُتمُ .. إني الميتُ
فيه .. ومنه الروحُ الحيِّ
وداعاً مالي فيكم أربُّ
إني أطلبُ أهلَ الحيِّ

وَفِي الْأَسْوَاقِ وَقَفْتُ أَنْادِي:
إِلَى تَعَالَوْا أَهْلَ الْحَيِّ
فَقَالُوا : لَسْنَا فِي الْعِشَاقِ ...
فَقُلْتُ : الْجَهْلُ دَلِيلُ شَقِيٍّ
فَمَنْ يَعْرِفُ جَمَالَ اللَّهِ ...
لَا يُقْصِيهِ عَنْهُ غَوِيٍّ
كَمَالُ اللَّهِ ... وَنُورُ اللَّهِ
بِأَمْتَلٍ لَهُ وَسَمِيٍّ
هُوَ الرَّحْمَنُ .. هُوَ الْفِتَاحُ
هُوَ الرِّزَاقُ .. وَخَيْرُ غَنِيٍّ
هُوَ الْقُدُّوسُ .. هُوَ الْجَبَّارُ
وَفَرْدٌ وَاحِدٌ وَقَوِيٍّ

حَكِيمٌ .. دَبَّرَ كُلَّ الْكُونِ
هُوَ الْقَيُّومُ وَخَيْرَ وَصِيٍّ
رَحِيمٌ كُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ
يَأْتِيهِ الْغِيَاثُ .. نَدِيٍّ
هُوَ الْغَفَّارُ .. هُوَ السَّتَّارُ
وَلَا أِبْدَأُ يَرْدُّ غَوِيٍّ
وَرَحْمَتُهُ اتَّسَعَتْ لِلْجَمِيعِ
وَكَلُّ الْعِبَادِ بِهَا مَحْظِيٍّ
هَلُمُّوا إِلَيْهِ فَإِنْ تَعْرِفُوهُ
تَفُوزُوا بِوَجْهِ الْعَنِيِّ الْعَلِيِّ
فَقَدْ كُنْتُمْ مِثْلَكُمْ غَافِلًا
فَلَمَّا ذُقْتُ انْكَشَفَ الْعَنِيُّ

تَرَكْتُ النَّاسَ..وَرُحْتُ أَنَا جِي
قَلْبًا غَضًّا فِي طَرِيٍّ

فَلَمَّا قِيلَ لِي : إِصْعَدْ
صَعِدْتُ وَطِرْتُ كَالْبَازِيٍّ
فَقِيلَ : .. اهْبِطْ .. تَرَ عَجَبًا
فَإِنَّ الْفَوْقَ لِي تَحْتِيٍّ
فَلَا فَوْقٌ وَلَا تَحْتٌ
وَلَا جِهَةٌ لَنَا وَلَا دِيٍّ
فَأَيَاتِي بِكُلِّ الْكُونِ
إِنْ تَفْصِلُ .. فَلَسْتُ ذِكْرِيٍّ

وكل الكون عند الله
فهو العرش والكرسى

فإن تنظرُ فعينُ الله
في الأكوان وهو الحي

وكل الفعل منه إليه
قهارٌ لكل قوى

فلا تنظرِ إلى الأكوان
وانظرْ ما بها من حي

ومن يصبحُ لنا عبدا
له منا عطاءٌ سخى

فإن تنزل من الأعلى
يكن بقرارك "الجودي"
وبين "الطور والجودي"
عبدى بالفتوح ترى
فإن ينظر ير الرحمن
في الأكوان غير خفي
وفيك الروح منه سرى
وفى كل الذى هو حى
فإن تنظر لوجه الله
أو تبغ صعودا فى
ففيك اصعد... وفيك انزل
تر المخبى كالمجلى

فقد أظهرتُ أسرارى
لِعَبْدٍ خَالِصٍ وَذَكِيٍّ
وَأَبْطُنْتُ الَّذِي يَبْدُو
لَكُمْ بِحَقِيقَةِ الْمَجْلِيِّ
فإِنِّي بَاطِنٌ أَبْدُو
وَإِنِّي ظَاهِرٌ مَخْفِيٌّ
وَشَرْعِيٌّ ظَاهِرٌ حَقًّا
وَمَهْمَا يَخْتَفِي مَرِيٌّ ...
وَمَنْ قَالَ الْحَقِيقَةَ غَيْرَ
مَا شَرَعَتْ فَهُوَ غَيْبِيٌّ
شَرِيعَتَنَا ... حَقِيقَتُنَا
لِمَنْ قَلْبٌ لَهُ نُورِيٌّ

فَمِرَاتِي بِهَا عَبْدِي
بِرُوحِ طَاهِرٍ وَنَقِيٍّ
يَرَى فِيهَا وَيَسْمَعُهَا
كَلَامَ مُحَدَّثٍ وَنَجِيٍّ
وَمَا عَبْدِي يَرَى أَبَدًا
سِوَى مَا فِي رُوحِهِ مَطْوِيٍّ
وَإِنْ يَسْمَعُ فَبِي مِنْهُ
حَدِيثِي .. وَهُوَ لِي مُصْنَعِيٍّ
فَأَيُّ فَيْكُمْ يَا عَبْدُ
فَأَفْهَمُ رَمَزَنَا الْمَخْفِيَّ
فَإِنْ مَا شِئْتَ تَسْمَعُنَا
وَتَبْصُرُنَا وَتَرْقِي فِيَّ

فَطَهَّرْ فَيْكَ مِرَاتِي
وَوَحِّدْنِي تِرَانِي الْحَيَّ
وَمَا فِي الْكُونِ إِلَّا نَا
وَكُلُّ سِوَى خِيَالِ غَيْبِي

وَلَدٌ "بِمَحْمَدٍ" دَوْمًا
حَبِيبِي ... وَهُوَ خَيْرُ نَبِيٍّ
وَمِرَاتِي بِهِ فَانظُرْ
تِرَانِي فِيهِ لَسْتُ خَفِيٍّ
فَإِنَّ "مَحْمَدًا" نُورِي
وَفِي حِفْظِي وَفِي عَيْنِي

وَمِنْ مِرَاتِهِ يُسْقَى
الذی مِنْ نُورِنَا مُحْظَى
فَكُنْ فِي قَلْبِهِ ... فَتَرَى
وَتَحْظَى بِالرِّضَا الْعُلْوَى
وَصَلِّ عَلَيْهِ فَالصلوات
عليه مفتاحٌ لكلِّ سَنَى
عليه صلاتُنَا يَدْعَا
وَحْتَمًا فِي الْوَرَى الْأَبْدَى

فقلتُ: اشتدَّ بي ظمئِي
فهل لي عندكم من رِيٍّ؟

سمعتُ الناسَ تقول: الكأس
فَذُقْتُ الكأسَ بِقَلْبِ خَلِيٍّ
فطاش العقلُ.. فزِدْتُ الشربَ!!
وكأسُ الحُبِّ عديمُ الرى!!
فصِحْتُ .. فقيلاً: لا تنطقُ
وشاهدُ ما تراهُ جليٍّ
فإن دَقَّقْتَ .. سوف ترى
من الأكوانِ مِرآتِيَّ
فمِرآةٌ لكمُ فيكمُ
ومِرآةٌ بها الكرسِيَّ
نَظَرْتُ وَجَدْتُ في المِرآةِ
صُوراً وجهها مَطْلِيَّ!!

فقلتُ : أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ
مَنْ زَيْفٍ يُطِلُّ عَلَيَّ

فَقِيلَ : فَهَذِهِ النَّفْسُ
حَوَتْ بِالْجَهْلِ كُلَّ رَدِيٍّ

فقلتُ : وَكَيْفَ لِي مَوْلَايَ
أَنْ أَرْقَى إِلَى الْعُلُوفِ؟

فَقِيلَ : أَطْهَرُ إِذَا وَانظُرْ
تَرَى مِرْآةَ وَجْهِ الْحَيِّ

وَإِذْ رُوحِي بِهَا فَرَحَى
تَرَى بِالْعَيْنِ كُلَّ خَفِيٍّ

فتنشر ما بها يخفى
وتُخفى ما ترى بالظن!!
وما فيها سوى الأنوار
كُلُّ جَمَالِهَا عُلُوقٌ
بكِتُ .. فقيلَ : ما يُبكيك؟
قُلْتُ النَّاسُ هَلَكِيَ الْعَيُّ
وَحَقُّكَ كُلُّ مَنْ يُحِبُّ
سِوَاكَ فَإِنَّهُ الْوَتْنِيُّ
فقال : النورُ مِنْ ذَاتِي
وذا تى سِرُّنَا المَخْفِيُّ
ولولا الحجب لا حترقوا
جميعا من سَنَا وجهيَّ

وما هذا لنا وجهٌ
فما وجهي يُرى للحيّ!!
ومهما زادَ مِنْ تقواه
أَوْ قَدْ صارَ خيرَ تقيٍّ
فبين الخلقِ والسُّبُحاتِ
مِنْ وجهي... العَمَى والعيّ
وهذي رحمةٌ مِنَّا
فقهرى فوقَ كُلِّ قوى

فقلتُ: الحقَّ تقولُ فكيف
أهلُ النورِ على عَيْنيّ؟؟

فقال : النورُ فنورُ الذاتِ
وذاثى فوق كلِّ رُقَى
وقد أهديتُ النورَ ” لظه “
خيرُ الخلقِ هو ” الأُمى “
وَمِنْ رُوحِ النَّبِيِّ يَرَى
الجميعُ وروحُ كلِّ تَقَى
هو ” المحمودُ “ هو ” المختارُ “
وَمَنْ ” المصطفى “ .. وَزَكَى
حجابُ الرحمةِ العظمى
ونورُ الأنبياءِ المَرْضَى
إليه المنتهى مِنْ كلِّ
مفتوحٍ عليهِ وَلى

وَكُلُّ الْأَوْلِيَا وَهَمُّوَا
بأنهم رأوا وجهي !!
وقد نسبوا إلي وجهي
الذي قد شاهدوه سني
وما علموا بأن لنا
حجاب النور بين يدي
سراجي .. والهدى فيه
ومنه الكوكب الدرّي
”محمد“ الذي فيه
مُحِيطٌ .. والمماسُ إلي !!
فإن ما قلتُ قرآني
وعرشي .. أو سنا الكرسي

وألواحى .. وأقلامى
وميزانى .. وكل سنى
فَنورٌ "محمد" فيه
ونورٌ "محمد" مَعْنَى
ولكنْ أشكلَ الفهمُ
عَلَى مَنْ عقله أَرْضَى
عليه صلاتنا مِسْكَ
يفوحُ بكرةٍ وَعَشَى
فَصَلِّ عَلَيْهِ لَا تَأَلُ
فما صليتَ فهو إلىَّ

رسولَ اللهِ ... حبيبَ اللهِ
وسرَّ النورِ وخيرَ نبيِّ
بك الأكوَانِ يرحمُها
عظيمٌ واحدٌ وعليِّ
فيا "جدِّي" إذا الأنساب
قامتْ عندكُلِّ تقيِّ
وليس بنافعٍ نسبٌ
إذا ما يدَّعيه دعيِّ
فيا أملي ويا سئدي
ويا كفالِكُلِّ تقيِّ
ورحمةَ ربنا المهداة
بابَ فتوحه العلوِّ

حجابَ الرحمة العظمى
وبرزخَ نورها الأبدى
وبحرُ الجودِ منك وَمَنْ
ببحرِ الجودِ عنك حَرَى !!
أَتَيْتُكَ سِيدِي رُوحَا
هَلَكْتُ بِحَجَبِهَا الْمُضْنَى
وَنَفْسِي عَافَتْ الْأَكْوَانَ
صِرْتُ بِسَجْنِهَا كَسْبَى
وَصَارَتْ كُلُّ دُنْيَانَا
مَعَ الْأُخْرَى كَوَجْهِ بَغْيَى !!
وَمَا وَاللَّهِ زَائِرِكُمْ
وَقَاصِدِكُمْ سِوَى الْمَرَضَى

قصدتُكَ سِيدِي وَالقَلْبُ
فِي وَجَلٍ وَرُوحِ صَبِيٍّ
فَإِنَّ القَلْبَ فِي سَجْنٍ
وَجَسْمِي صَارَ كَالْمَفْرِيٍّ
وَلَيْسَ سِوَاكُمْ بَابٌ
إِلَيْهِ وَشَافِعِي وَوَلِيٍّ
هُوَ الرَّحْمَنُ .. لَا أَرْجُو
سِوَى وَجْهِ الكَرِيمِ الحَيِّ
وَصَمْتِي سِيدِي أَوْلَى
فَقَدْ ضَرَبَ اللِّسَانَ العِيَّ
فَهَلْ مِثْلِي لَهُ رُفْدٌ
لَدَيْكُمْ .. وَالْفِؤَادُ عَصِيٌّ؟؟

فَأَنْتُمْ جُودُكُمْ بِحُرٍّ
وَمِنْهُ عَطَاءٌ كُلٌّ سَخِيٌّ
فَلَا وَاللَّهِ يَرْجِعُ مِنْ
بِأَيْكُمْ يَلُودُ ... شَقِيٌّ
عَلَيْكَ صَلَاتُنَا مَسْكَاً
يَفُوحُ بِبَكْرَةٍ وَعَشِيٌّ

رَسُولَ اللَّهِ .. صَفَىَّ اللَّهُ
أَتَيْتُكَ أَرْجُو مِنْكَ الرِّىَّ
فَلَمَّا قَلْتُ : يَسْمِ اللَّهُ
وَقِيلَ : الْأَمْرُ بِهَا مَقْضَى

ولمّا قلتَ لى : وَحَدُّ
وَهَلَّ النُّورُ مِنْكَ عَلَيَّ
فَلَمَّا عَشْتُ فِي التَّوْحِيدِ
بَانَ الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ
فَسَبَّحُ .. قُلْتَ لى ... وَاذْكَرُ
بِقَلْبٍ مُفْعَمٍ وَفَتِيٍّ
فَلَمَّا قُلْتُ : يَا أَللهُ
غَشِيَتْ .. وَغَمَّ الْأَمْرُ عَلَيَّ
فَقُلْتَ عَلَيْكَ صَلَّى اللهُ :
قَدَسَ نُورَهُ الذَّاتِيَّ
فَلَمَّا قُلْتُ : يَا قُدُّوسُ
طَارَ النَّوْمُ مِنْ عَيْنِي !!

وبات القلب يقظانا
وصار الجسمُ كالمشوى
وصار الروح .. بَعْدَ الْعَقْلِ
يطيرُ ويسقطُ كالمغشى
وقيل : القدسُ بنور الذاتِ
وأما الذاتُ فغيرُ جَلِيٍّ
فَصَلِّ عَلَى الَّذِي أَحْيَاكَ
بالتلقين منه لدى
فإنَّ النور في المختار
يسرى فيه ” للمهدى “
وَمَنْ يُحِبِّ رَسُولَ اللَّهِ
صَارَ بِنُورِهِ مَهْدِيًّا

رسولَ اللهِ .. حبيبَ اللهِ
فقدتُ الحِسَّ مِنْ وَعْيِيَّ
فجئتُ إليك .. ملاذى فيك
وَمَنْ غَيْرُ النَّبِيِّ وَلِيَِّّ !!
وَأَنْتُمْ سِيدَى تَدْرُونَ
حُبِّي ظَاهِرًا وَخَفِيَّ
فَجِئْتُكَ يَا مَلَاذَى لَا
أُرِيدُ سِوَى رِضَاكَ عَلِيَّ
وَمَالِي غَيْرِكُمْ أَرَبُّ
وَلَا قِصْدُ سِوَاكَ لَدِيَّ
وَكَمْ قَدْ جَاءَنِي غَوْثُ
وَفَضْلُ مَنْ يَدِيكَ نَدِيَّ

وما أنا مُسْتَحِقُّ الْفَضْلِ
لَكِنْ جُودُكُمْ لِيَّ
وَكَمْ بُشْرَى تَلَّتْ بُشْرَى
أَتَتْ مِنْكُمْ بِكُلِّ عَلِيٍّ
وَمَا قَدْ كُنْتُ أَرْجُوهَا
وَلَا طَافَتْ بِقَلْبِ وَلِيٍّ !!
فَلَمَّا رَاحَ بِي عَمْرِي
وَشَبَّ الشَّيْبُ فِي فُودِيَّ
خَشِيتُ وَحَقِّكُمْ مَوْلَايَ
أَنْ أَقْضَى غُرُورًا فِيَّ
وَمَالِيَ غَيْرِكُمْ لِلرُّوحِ
يَا مَوْلَايَ مِنْ مُفْتِيٍّ

وبعد الله أنتم سيدى
الهادى لكل سنّى
وحقّ الله يا مولاي
أنتم جنّتى والرىّ

فيا بايى إلى الرحمن
يا كنزى إلى المعنى
بحقّ الله لا تردّد
وحقّك فى الرجاء يدىّ
عليك صلاتنا أبداً
بما لا يفهم الإنسىّ

ولا يَرْقَى إليها الخَلْقُ
مِنْ مَلَكٍ وَلَا جِنِّيَّ
وما صَلَّى بها رَبِّي
على أَحَدٍ سِوَى "الأميِّ"
بها أَرَقَى لنور الذاتِ
مؤْتَنَسًا بكمْ وَفَتِيَّ
وخيْرُ تَحِيَّةٍ مِنْ رُوحِ
مَنْ عَشِقَ الجَمالَ الحَيَّ
تفوحُ بِطيبها مِسْكَ
يُعَطِّرُ رَوْضَكَ النَبويَّ
وخيْرُ صَلَاةٍ مولانا
إِذَا فَجْرٌ بَدَأَ .. وَعَشِيَّ

عليك صلاته أبداً
تدوم مع الوري الأبدى



مكة المكرمة

غرة رجب ١٤٢٠هـ - أكتوبر ١٩٩٩م

